قراءة نقدية في ومضة "غربة (2)" لهيفاء حماد

عباس طمبل، السودان

غربة (2)[19]

عشت حياتي بين غابات الغربة، عز على روحي أن ترفرف إلا بين أشجار وطني.

لوجع التغرب عن الوطن والحنين إليه علقمٌ مذاقه شهدٌ عند الكاتبة السورية هيفاء حماد، ففي هذه الومضة التي قمت باختيارها من مجموعتها القصصية (بوح ياسمين) تجسد لنا مشهدا من حياة هذه الشخصية التي تغربت عن وطنها، حتى لو كانت هذه الغربة في العالم المتخيل، لكنها تعكس ما يدور في خلد الراوية، وما أكثر غربتنا عن أوطاننا ونحن نقطن بداخلها ونتنفس هوائها، وربما الرمز لهذه الأشجار قد يكون عبارة عن حالة تصف اخضرار وطنها وجماله رغم ما يكسو أوطاننا العربية من حالات الحزن والسواد نظرًا للاضطرابات السياسية التي يعاني منها معظم أوطاننا، هذه الغربة التي قد تأتي إجبارية في أغلب الأحيان في ظل الظروف التي تعيشها مجتمعاتنا العربية، من عدم توفر سبل العيش الكريم وانغلاق آفق البوح وحرية التعبير، وحريات كثيرة مفقودة قد لا تكفل للفرد العيش الحر الآمن،

[19] هيفاء حماد. بوح ياسمين. الكتاب الخامس في سلسلة ومضات قصصية. الجيزة: حمارتك العرجا للنشر الإلكتروني، طبعة ثانية. مايو 2015. ص 17.

وخصوصًا إذا كانت تتبني فكرًا معارضًا للنظام الحاكم، فكل الهجرات الإجبارية والنفي والطرد التي حدثت على مر العصور في تاريخنا العربي القديم والمعاصر للسياسيين والمفكرين والشعراء والأدباء، حدثت نتيجة لتبنيهم فكرًا مناهضًا للأنظمة العربية التي تُصر على إقامه عروشها على جماجم شعوبها ولا تحترم أدميتهم وكينونتهم، وتبنى عرشها من الزيف والخداع والتضليل، و تسعي بشكل دائم للهدم والفرقة، لا للبناء والتعمير، وتعمل بشتى السبل للبقاء على رأس الإنسان، على خلاف ما نراه في البلاد الأخرى على خارطة العالم التي تعظم الإنسان وترفع من شأنه وتؤمن بمعني الديمقراطية الحقة غير المزيفة، وتسعي بكل صدق لتحقيق مبدأ العدالة الاجتماعية والمساواة بين أفراد المجتمع حيث لا نرى فرقًا بين الخفير والوزير.

قد تبدو بداية الومضة حدثية بالفعل الماضي (عشت) تجسيدًا لجحيم الغربة على الرغم من أن كثيرًا من حالات الاغتراب عن الوطن تعود علينا بفوائد أكبر مما نجنيه داخل أوطاننا إذا كانت ظروف هذه الشخصية طبقًا لم ذكرته عالية. وفي الكثير من الأحيان نجد أن الحاجة الدائمة لتطوير قدراتنا وأنفسنا والبحث الدائم عن فرصة أفضل للعيش الكريم قد تمثل الدافع الأكبر للكثير مما يشكل له رغبة أكيدة للتفكير في الهجرة عن وطنه، رغم المرار الذي يعتريه وهو بعيدٌ عنه. كما أن صعوبة التأقلم مع منظومة الحياة طبقًا

لمتغيرات كثيرة قد تطرأ في نظام المعاملات بين أفراد الشعوب العربية، فمن تعود على نظام معاملات معين لا يستطيع العيش في البلدان العربية. لكن على الرغم من الصعوبات والعثرات والمعاناة، يبقي الحنين إلى الوطن هو الشوق الذي لا يغلبه شوق.

نهاية الومضة حدثية أيضا وهي في الغالب تمثل حدثا متخيلا لأن الفعل (عزّ) قد يوحي بأن روح هذه الراوية ترفرف في مكان آخر غير موطنها، وأنها تتمنى أن ترفرف في وطنها، حتي إن كانت أمنية تسعي الشخصية لتحقيقها كحلم بعيد المنال، لذلك عبرت عنها بحسرة ووجعٍ خرافيٍّ مثل الابتعاد عن الوطن..

فيما يبدو، المدي الزمني لحدث هذه الومضة قصير نسبيًا فهي تجسد لحظة فراق هذه الشخصية للحياة وأمنيتها أن تدفن في تراب وطنها، الشخصية مجسدة بصورة واضحة في هذه الومضة فهي راوية تعيش خارج وطنها وتتمني أن تعود الي أرضه، ووطن ربما يبدو كسيرًا جريحًا يعاني من ويلات التمزق والتشرذم.

مكان الحدث: واضح من خلال السياق السردي أنه وطن ما تعيش فيه الراوية خارج حدود وطنها الأم، أو وطنها الأم.

المدي الزمني للنص: الفعل الماضي غير المحدد.

أسلوب السرد: الومضة مروية بضمير المتكلم.

المنظور السردي: منظور داخلي.

بالنسبة لعنوان هذه الومضة (غربة2)، هو عنوان محايد دال يوضح مدي معاناة هذه الشعوب العربية المغلوبة على أمرها، وتعتبر هذه الومضة منفصلة تمامًا عن عنوانها ومكتملة النمو بعيدًا عنه.